لم تكن رومية في ذلك اليوم الذي سارت فيه الجنازة من ميدان التحرير إلى ميدان طلعت حرب إلى ميدان مصطفى كامل (سابقا ميدان الإسماعيلية، وميدان سليمان باشا الفرنساوي، ورون بوان سوارس). لم تتحرك الجنازة كالشمس من الشرق إلى الغرب، ولا كالتاريخ في تسلسله من الأسبق للاحق، بل مشت في طريق عكسي كأنها نيل الخيال في أساطير المصريين القديمة، مجرى أرضي يعود بقارب الراحل من غربه إلى شرقه، أو كأن الراحل يغوص عائدا إلى من سبقوه ليلملم من التراب عظامهم، ويجمع موتهم بموته ويقومون معا بشغلهم.

عربة عسكرية تحمل النعش ملفوفا بالعلم المصري، ومن ورائه الصف الأول في الجنازة ومن خلفهم حشد المشيعين. يتكاثر الحشد، يفيض عن المجرى المستقيم لموكب يتقدمه رئيس الجمهورية والوزراء والقادة، لا مقدمة ولا مؤخرة بل جسد طاف على موج. لا أحد يبكي. لا جنازة ولا مشيعين، بل صوت: «بالروح بالدم نفديك يا رياض»، «بالروح بالدم نفديك يا مصر».

قلت هذه جنازة أخي التي لم أمش فيها. قلت: ليست جنازة، بل شيئا آخر يصعب عليّ الآن تعيينه.

جنازة عبد المنعم رياض صالحتني على نفسي بعد عامين من الخصام، وأعادتني للشارع بعد ثمانية عشر عاما من الفراق، هل هذا صحيح؟

بحث في ملفاته. استلّ منها جريدتين قديمتين. نشر أمامه الجريدة الأولى العدد ١٤٧ من جريدة الشعب يحمل التاريخ بالتقويم الهجري والميلادي والقبطي تباعا:

ربيع الأول سنة ١٣٧٦ـ ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ـ ٢٠ بابة سنة ١٦٧٣